الفصل الخامس والعشرون

جوامع مصر المحروسة التى شيدها السلاطين

وغيرها من الجوامع الكبرى التى يستجاب فيها الدعاء

فى القاهرة مائة وستة وخمسون مسجداً لسلاطين السلف من الترك والعرب والعجم ولا وجود لمثل هذا فى جميع الممالك الإسلامية. وإن ما أقيم من هذه الجوامع ليست جوامع ولكنها جنات وسوف أكتب عن هذه الجوامع بالترتيب على حسب ما زرتها وأقدم هذه الجوامع وأعرقها:

جامع عمرو بن العاص

وهو فى مصر العتيقة مسجد عتيق عظيم يستجاب فيه دعاء الفقراء، وهو كعبة الضعفاء، وبنى هذا الجامع عمرو بن العاص فاتح مصر. أما سبب بناء هذا الجامع أنه عندما حاصر عمرو بن العاص مصر القديمة أى مدينة الفسطاط ضرب جند الإسلام خيامهم فى موضع هذا الجامع وحفروا خندقًا حولهم وقامت الحرب ودامت أيامًا وكان المسلمون يدفنون شهداءهم فى هذا الموضع وقضى الله أن تفتح القلعة فخلعوا خيامهم ولما اقتضى الأمر أن ينتقلوا إلى المدينة رأوا أن حمامة اعتشت على رأس خيمة عمرو ورآها عمرو، وقال: لا تخلعوا هذه الخيمة إن هذه الحمامة فى بيتنا وإكرامها واجب علينا وإذا ما أفرخت وطار صغارها فلتطر إلى مقرنا وهى وصغارها فى حمانا من الوحوش والناس.

وأفرخت هذه الحمامة وطارت من عشها وكانت فى كل مرة تأتى أمامه وتحط عليه وأنست به وألفته. لكن عمرو فيما بعد خلع الخيمة وكان ديران كبيران فى هذا الموضع أحدهما للقبط والآخر للروم فهدمهما وأقام جامعًا، ولكن هذه الحمامة اعتشت ثانية فى ذلك الجامع ولذلك سمى هذا الجامع «قطاس».

وقد أنجز بناء هذا الجامع أربعون ألف من جند الإسلام، وكانوا يصلون فيه على الدوام؛ ولذلك فهو أقدم جامع فى القاهرة، وله كثير من المحامد والمحاسن ولكن لنوجز القول فى وصفه:

الجامع الآن مربع الشكل أسواره كأسوار القلعة، ومساحته مائة وثمانون قدمًا طولاً وعرضًا، ومن ناحية بابه إلى القبلة مائتا عمود من الرخام الأبيض، وعلى يمنة ويسرة حرمه كذلك مائتان وأربعون عمودًا أبيض. وعند بدء البناء فيه لم يكن حوله جدران وبنى كله على أعمدة والآن رءوس بعض أعمدته ظاهرة فى بعض المواضع، وفيه كذلك ثلاثمائة عمود. ومكان المؤذن على ثمانية أعمدة. وبناء على هذا الإحصاء فيه ثمانمائة وعشرون عمودًا تنتهى بطاقات كأنها قوس.

وبعد ذلك قال لهم عمرو: ينبغى أن يكون الجامع متينًا رصينًا وينبغى بناء جدران حوله كأسوار القلعة. ومنبره ومحرابه من الطراز القديم، ومنبره من الخشب المنقوش. ومن يصلى ركعتين فى الجمعة الأخيرة من شهر رمضان فى هذا الجامع يتحقق له كل ما يتمناه فى دنياه وأخراه. وقد رصفت مساحته بالحجر فكأنها سهل منبسط. ومن محرابه إلى وسطه حجرات علوية، وقد سكن فيها سيدى الشيخ علاء الدين الطائى، والآن يسكنها صاحب السلوك الشيخ يوسف الشناوى، وحول هذا الجامع مئات من الأركان المظلمة وفى كل ركن يسكن عارف من العارفين، وهم يفطرون فى الأسبوع مرة، ومنهم الشيخ على الفارضى، والشيخ رمضان خليفة القيصرى وهما من أصحاب الكرامات. وإذا ما قرأوا علم الموسيقى على الشيخ على الفارضى رغبهم فيه. إنهما سلطانان عظيمان، وفى الجمعة الأخيرة من شهر رمضان يحتشد فى هذا الجامع عدة آلاف من الناس ويصبح داخل الجامع وخارجه بحر من الناس وهم يصلون. ولا شك أن أرواح الأنبياء والأولياء تحضر فى هذا الوقت على ما يقال.

ولهذا الجامع سبعة أبواب وأربع منائر وفى كل ركن من أركانه منارة إلا أنها منارات صغار قديمة الطراز. وفى الركن الأيمن لهذا الجامع قفص وهو مصلى الوزراء وثمة كلام مكتوب بخط سيدنا عمر وعثمان على رق الغزال، وهو خط كوفى. وبالقرب منه مقام

الشهداء وقد دفن فيه سبعة آلاف صحابى، وهذا ثابت. وفى الجانب الأيسر من هذا الجامع موضع زيارة مربع يسمى «مقام الأوتاد» وله محراب آخر وبالقرب من المحراب على لوح من الرخام الأبيض المربع مساحته ثلاثة أشبار تاريخ مكتوب بخط جلى وهو:

أتما بنى التمام المكان الشريف سنة ثلاثة وثمانين عمّر العبد الفقير إلى الله تعالى إبراهيم بن عمر المجلى لتاج أكابر تاج الحوض الشريعة عفى الله عنه الجامع عمرو بن العاص ـ رضى الله عنه ـ البروق سبع بوابل بيع لوجه الله غفر الله تعالى له ولوالديه ولجميع المسلمين صلى الله عليه وعلى سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين).

وقد رمم هذا الجامع بيرام باشا حينما كان واليًا على مصر. وكتب على لوحة نحاسية على يمنة المنبر تاريخ يتألف من خمسة وأربعين بيتًا. والمصراع الذى يحمل تاريخ ذلك هو: بينما كان اثنان يسيران قالا إحياء أثر الأصحاب الراشدين سنة ١٠٣٢.

عجائب جامع عمرو بن العاص

وفى داخل هذا الجامع عجائب وغرائب. ففى داخل باب القبلة أمام المنبر عمودان من رخام ويزعم الناس أن العاصى النجس إذا شاء أن يمر بين هذين العمودين لم يمر. أما إذا كان تقيًا مر. وبعض ضخام الجسم يمرون من بين هذين العمودين كالصاعقة وبعض من نحلت أجسامهم لا يمرون.

ويحكى حاجب الجامع أنه ذات يوم أراد خادم لأحد بكوات القاهرة أن يمر إلا أنه انحشر بين العمودين ولم يمر وحينئذ أمسك جميع الحاضرين بذراعه وهم يصيحون وعندما أخرجوه ثانية عجبوا لحاله ولا يعلم أحد ماذا حدث وخرج الرجل خارج الجامع وغسّلوه فى طرقة عين داخل الجامع وبعد صلاة الجمعة صلى عليه صلاة الجنازة مئات آلاف من المصلين. يا لها من حكمة عجيبة.

إن هذا الجامع ليس مزخرفًا كالجوامع الأخرى وله أكثر من مائتى خادم وفى جوانبه الأربعة ثمانية وسبعون روافًا للفقراء. وحوله أرض خربة.

جامع أزهر القائد ـ أى الجامع الأزهر

بناه السلطان المعز لدين الله المغربى الفاطمى عام ٣٥٨ وذلك بيد المملوك المسمى

أزهر الذى جاء من بلاد المغرب بآلاف الأكياس من المال واستأذن من الخليفة الإخشيدى فى طرح أساس هذا الجامع، وكان جملة خدامه يزيدون على عشرة آلاف وكلهم من المغاربة. ولما اقترب بناء الجامع من التمام قدم المعز لدين الله من المغرب غازيًا ودخل مصر بغتة وتسلح كذلك المغاربة الذين قدموا بحجة بناء الجامع الأزهر. وانتزع المعز لدين الله الفاطمى مصر من يد الإخشيديين وأصبح ملكًا مستقلاً عليها.

وعمّر المعز لدين الله الفاطمى الجامع الأزهر بحيث جمع فيه علماء الدنيا بأسرها وكان يقدم فيه الطعام لبنًا وتمرًا وسكرًا. وإلى هذا الوقت لم يكن فى القاهرة وقف عظيم كهذا. ولقد سمى الجامع الأزهر باسْم مَنْ بَنَاهُ وهو هذا المملوك أزهر. إلا أنه بنى من صلب مال المعز لدين الله ولهذا السبب ملك مصر. وليس فى القاهرة جامع يؤمه كثرة من المصلين كالجامع الأزهر ويرجع السبب فى ذلك إلى وقوع الجامع فى قلب القاهرة حيث لا يخلو موضع فيه ليل نهار من ساجد ففيه ليل نهار اثنا عشر ألف طالب علم، ولهم دوى كدوى خلية النحل يبعث فى النفوس الرهبة، وكلهم مشغولون بمدارسة العلم، ولا يحرم من معرفة أصول الدين أحد يقف موقف التلميذ أمام أستاذه فيه. إنه جامع مبارك وبين الباب والباب مائة وسبعون قدمًا. ويدخل من باب المجلدين ويمر من الحرم الصغير ومنه الدخول إلى الحرم الكبير، وحتى بلوغ المحراب تبلغ المسافة مائة وخمسين قدمًا وداخل الجامع مائة وعشرون عمودًا من الرخام وعشرون عمودًا منها لها قواعد مزخرفة وتقع هذه الأعمدة بين الجامع والحرم. إلا أن هذه الأعمدة صغار وكلها على أربعمائة رافد وكلها تحمل سقفًا خشبيًا أخضر اللون وليس للسقف قبة. وهو بنيان شاهق ليس من نوع بنيان سائر الجوامع الأخرى. ومن دخل هذا الجامع وجد روحانية لا يريد معها أن يخرج منها. وللجامع أربعة محاريب للمذاهب الأربعة، وعلى المحراب الحنفى كتب قوله ـ تعالى ـ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ** ﴾ [الحج: ٧٧]. ومنبره من خشب كتب عليه بخط أبيض الآية القرآنية الشريفة: ﴿ **قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** ﴾ [البقرة: ١٤٤]. وفى هذا الجامع ألفا دولاب، وعرض الدولاب منها قدمان

وارتفاعه ستة وسبعة أقدام. وبناء على هذا الإحصاء يكون الدواليب تسعة آلاف دولاب وهى مكتظة بالكتب وفيها حاجيات طلاب العلم من مأكول ومشروب وغير ذلك. ولا يخلو هذا الجامع من اثنين أو ثلاثة آلاف ضرير من حفظة القرآن الكريم، ولهم فى مباحثهم فى العلم أصوات تلقى فى القلب الخشوع.

وخارج الحرم ساحة مرصوفة بالبلاط الأبيض ومساحتها طولاً وعرضاً مائة وخمسون قدمًا والحرم مرصوف بالرخام الأبيض المصقول والحجر المجلو. وإذا ما هطل غيث الرحمة فإنه يملئ الصهاريج الموجودة أسفل هذا الحرم وتمتلئ هذه الصهاريج من ماء النيل بما يُحمل أربعون ألف جمل، وذلك ضمن أوقاف الجامع. وداخل الحرم فى ثلاثة مواضع فوهات آبار وكأن هذا الصهريج بحر من الماء الزلال.

وعلى جوانب الجامع أربعة وخمسون رواقًا أى مقر لخمسين قومًا من بلاد مختلفة وحقيقة الأمر أن فى كل رواق من أروقتها جمع من العلماء المسلمين من بلد إسلامى ولا علم لسكان أى رواق بلغة أهل الأروقة الأخرى ولا أحوالهم فكل منهم مشغول بالخاص من شأنه. أما فى وقت الصلاة فكأن اليوم يوم الحشر والعظمة لله. وهم يحملون حاجياتهم ويجددون وضوءهم ويؤدون الصلاة ثم يعودون إلى الاشتغال بالعلم وحتى الآن لم أسمع فى الأزهر كلامًا بذيئًا. وكلما وجدت فى الأزهر نسيت علائق الدنيا ودخلت فى حال آخر وطابت نفسى. والأزهر يمتلئ بعلماء مصر وفى مائة وسبعين موضعًا يلقى العلماء دروسهم.

ورواق الأتراك نظيف ويسكنه جميع الأتراك وجميع من يسكنون الأروقة يميلون إلى رواق الأتراك وله أوقاف عظيمة، ورواق العراقيين ورواق المغاربة غير نظيف. وفى أروقة الأندلس والفونجستان والكردستان وأروقة التتار وداغستان والعجم وغيرها من الأروقة الخمسين طلاب العلم. وهم يدرسون جميع العلوم الغريبة والعجيبة كل يوم. وما يسمى بالأروقة فى الجوانب الأربعة من الجامع مائتان وخمسون عمودًا من الرخام الأبيض. وبناء على هذا الإحصاء فهذه الأعمدة أربعمائة عمود. وفى داخل الجامع وخارجه اثنا عشر ألف قنديل تنار كل ليلة ولا تمس حاجة الطلبة إلى الشمع. وعندما

كان أزهر القائد يبنى هذا الجامع كتب طلسمًا وبذلك لا يدخل الجامع من الطيور اللقلق والعصفور والحمامة ولا تعتش فيه وهذا طلسم عجيب.

وخلف باب المحراب تقوم منارتان وكل منهما من خمس طبقات وللجامع سبعة أبواب وهى جميلة الصنع من النحاس الأصفر. وعلى الجانب الأيسر للحرم حوض شافعى ومساحته عشرة أقدام فى مثلها. وفى الجوانب الأربعة للجامع فى سبعة مواضع متصلة مدارس ودور للحديث ودور للقراء وكلها فى أطراف الحرم الكبير للجامع وكلها مكتظة بالمدرسين والطلاب وفضلاً عن هذه الأروقة يتصل بالجامع ربوع إذا دخل الإنسان حجرات واحد منها تَوَّهَتْهُ وهذه الحجرات غاصة بالأعيان والعلماء والصلحاء.

وخلاصة القول أن فى الأزهر اثنى عشر ألف إنسان. وإذا أعلن علماء الأزهر ثورتهم خرج من الجامع منهم سبعمائة رافعين العلم اللهم عافنا إن ثورتهم غاية فى شدتها. وإذا ما دخل الجامع الأزهر مجرم أو لص وتاب وأناب لم يستطع الحاكم أن يأخذه بالعقاب. وفى كل يوم يختم القرآن أكثر من ألف مرة. وإذا أراد أحد أن يختم القرآن على روح أبيه أو ولى نعمته دفع لمن يتلو القرآن ثلاثين باره ولو دفع أكثر أخذوها مع كيسه غصبًا. ويختم القرآن من يتلوه فى سبع ساعات والحفاظ كثيرون. وفى الصباح والمساء يوزع على الفقراء من مطبخ نعمة الله حساء الأرز والعدس مع رغيف. وفى ليالى الجمعة يوزع أرز الزردة واليخنى ويبدو الجامع ليل نهار كأن فيه صاعقة لشدة ارتفاع أصوات من فيه من الناس. وللمذاهب الأربعة فيه من لهم الرياسة عليها. فلمصطفى أفندى الرياسة على رواق الأتراك وكم من مجرم أصبح عبرة لمن يعتبر.

ولرسوخ الاعتقاد فى الجامع الأزهر تبذل له الصدقات والنذور والصُّرر والعطايا وذلك من أهل القاهرة وغيرها من البلاد. إن له أوقافًا عظيمة وإن اللسان عن مدحه لعاجز.

جامع السلطان أحمد بن طولون

فى عام ( )[1] قدم السلطان أحمد بن طولون الإخشيدى من بلاد المغرب ورأى

(١) بياض فى الأصل.

النبى ﷺ فى المنام. فكان ذلك سببًا فى إقامته لهذا الجامع. ومن يشاهد هذا الجامع يظن أنه قلعة لأن جدران أركانه الأربعة وجدرانه ومتانتها ليست لقلعة من القلاع. إنه جامع عظيم مربع الشكل يرتفع جداره أربعين ذراعًا وكأنما فى حجم الكعبة الشريفة. ومحرابه طبق ما أمر به الرسول ﷺ ولذلك أصبح قبلة، وهى قبلة مساوية لكل المواقيت، وبما أنه موضع نظر الرسول ﷺ فله روحانية خاصة. وهو كعبة الفقراء لأنه معبد قديم. وقد جاءت أوصافه فى تواريخ القبط. ويسمون أرضه فى التواريخ القديمة «الأرض الحمراء القصوى» ويسمون جبله «جبل الكبش» ولكن حينما ضرب عمرو بن العاص ـ رضى الله عنه ـ الحصار على مدينة الفسطاط وأقام بنو يشكر خيامهم فى هذا الموضع المسمى بالفسطاط فسمى هذاالجبل «جبل يشكر» وكان اسمه من قبل «جبل الكبش» ولما شيد أحمد بن طولون قلعته عليه عرفت بقلعة الكبش. ذلك أنه فى أيام القبابطة كان ثمة طلسم من نحاس لكبش وكان وجه هذا الكبش متجهًا نحو جبل الأهرام بالجيزة. ولما كانت سوق الغنم فى هذا الموضع سمى الجبل «جبل الكبش» وهذه السوق باقية إلى اليوم فى ذلك الموضع. ولما كان موسى عليه السلام راعيًا كان يرعى غنمه فى ذلك الموضع وفى الموضع الذى كان يصلى فيه محراب هذا الجامع. كما كان فيه كذلك مقام موسى عليه السلام والخضر.

وقد رأى أحمد بن طولون النبى ﷺ فى المنام وهو يقول له:

«يا أحمد أقم جامعًا فى موضع مقام أخى موسى»، ونزولاً على أمره ﷺ فى الموضع الذى كان موسى يناجى فيه ربه فوق جبل يشكر وهى أثر قدم موسى عليه السلام بنى أحمد بن طولون جامعه. إنه معبد قديم وفى محرابه وقت الصلاة يستجاب دعاء الدنيا والآخرة. ومن باب قبلة هذا الجامع حتى بابه الغربى مائة وعشرون قدمًا أما عرضه فمائتا قدم. وداخل الجامع من ناحية القبلة تسعون عمودًا عليها قباب حجرية ذات روافد منأعلاها إلى أسفلها. وفى الجوانب الأربعة للحرم العظيم عقود حولها مائة عمود وبين الروافد مائة وستون لوحًا زجاجيًا. وللجامع ستة أبواب ومن باب القبلة الكبير يصعد بسلم له ثمانى عشرة درجة. وكانت مياه بركة الفيل تنصب فى أصل هذا

السلم وكانوا يتوضئون بمائها، وآثارها ظاهرة الآن للعيان ومن الحرم العظيم إلى القبة التى تتوسطه تشبه الكعبة وتحت تلك القبة حوض شافعى وعلى يسرة هذا الحوض نخلة عظيمة لا نظير لها فى أرض مصر. وبأمر رسول الله ﷺ حينما جنى تمر المدينة لوحظ أن تمرها من هذا التمر.

وحرم الجامع مرصوف بالرخام الأبيض من أوله إلى آخره. وللحرم كذلك مقصورتان وله منارة عجيبة بديعة لا وجود لها فى بلاد الإسلام وهى مربعة الشكل ومن ثلاث طبقات وهى فى الجهة الشمالية للجامع تطل على الطريق. والصعود فى جميع المنارات من داخلها أما هذه المنارة فتصعد من الخارج وذلك بفضل براعة المعمارى الذى بناها. والمؤذنون يصعدون إليها من الخارج وهى من ثلاث طبقات وارتفاعها مائتا قدم. حتى إن فارسًا من فرسان رضوان بك أمير الحج صعدها على جواده وهى ليست غليظة إلى هذا الحد ولكنها من عمل معمارى ماهر.

كيف يكون السماع كالمشاهدة ؟

إن الوصف يعجز عنها وينبغى مشاهدتها، وهى أعلى من كل المنارات وفى ذروتها بدل العلم علم من النحاس على هيئة القارب يقولون إنه طلسم ويقول بعض أهل العلم إن النيل طغى ماؤه حتى بلغ هذه المنارة، وهذا أمارة على غرق مصر على ما يزعمون. إنها الآن عجيبة تشاهد.

وعلى يسرة جدار الحرم كتبت البسملة وطولها أربعون قدمًا وخطها بديع وكل ألف فيها بطول ثمانية أذرع وذيل حروف تلك البسملة مرتفع وهو سحر مبين وهى على الجدار مصقولة مجلوة وتبدو كأنها كتبت لتوها وقد كتبها (الفقير أحمد القره حصارى) عام ٩٣١. وجامع ابن طولون وبسملته التى كتبها «قره حصارى» لهما الشهرة بين الرحالة من العرب والترك والعجم.

وفى الجدار المجاور لهذه البسملة كتبت (و) كلمة (والله) بقلم غليظ اتساع ثلاثة أشبار وهى (و) مستديرة طولها عشرة أذرع وهذا قلم له إعجاز السحر. وعلى يمنة باب قبلة الحرم بسملة أخرى وهى كذلك مثل البسملة الأولى إلا أنها مكتوبة بخط أبيض

وهى كذلك طولها أربعون قدمًا ولكنها بخط «حسن چلبى القره حصارى» وفى جدار قبلة هذا الجامع بابان يفتحان على سوق المغاربة، وفى ركن الباب الأيمن منارة من طبقتين، وفى ركن الباب الواقع على الناحية اليسرى منارة من طبقتين. وخلاصة القول أنها ثلاث منارات بديعة الصنع. كما أن للجامع منبر خشبى وقد نجر فكان كالسحر الحلال يحار عقل من يشاهدهُ.. ومحرابه كذلك من الرخام المُحَلَّى بالصدف وهو سحر إعجاز.

جامع الحاكم بأمر الله

كان أميرًا من بنى العباس وبعد غارة هولاكو على بغداد فر منها إلى مصر، وكان ساكنًا فى قلعة الكبش. وظل خليفة إحدى وأربعين سنة وأقام هذا الجامع، إنه جامع عظيم كأنه القلعة يقع بين باب الناصر وباب الفتوح. مساحته طولاً وعرضًا مائتا قدم. وللجامع سقف كثير النقوش يقوم على مائة وخمسين عمودًا أبيض وليست له قباب حجرية، وله حرم واسع كأنه سهل، وفى منتصف هذا الحرم جدار مربع، وبداخله حديقة، وفيها الورد والريحان والنبق، وفيها نخيل. ومنبره خشبى مزخرف، ومحرابه من الطراز القديم، ولكنه متقن الصنع وله ثلاثة أبواب: أولها باب القبلة وهو متجه إلى باب الناصر. والآخر يتجه إلى باب الفتوح، أما الثالث فيتجه إلى اليمين. وله ثلاث منارات، أما المنارة التى تتوسط المحراب ضيقة بحيث لا يستطيع رجل أن يصعدها ويمكن أن يصعدها طفل، ومنارتان كأنهما برجان ركينان، طبقاتها السفلى تتسع لخمسمائة رجل يعلوها (شريفة) بديعة الصنع وفوقها طبقة أخرى أصغر وهى كذلك مزخرفة، وهذه المنارات تشبه عمامة البكتاشية طبقة طبقة.

جملة القول أنها منارات رائعة. ولقد بنى الحاكم بأمر الله هذا الجامع ورتب للقائمين عليه اللبن والتمر والسكر. ومع ذلك لم يكن الناس يأتون إلى جامعه وفى النهاية ملأ الجامع الأزهر بالقمامة وبذلك ملأ جامعه بالناس ونسى جميع العلماء أنهم لا يجدون فيه الملائكة التى يجدونها فى الأزهر. وفى النهاية فروا من جامعه الواحد تلو الآخر. وكانوا يتلون القرآن فى الأزهر على الزبيل وكانوا يحملون القمامة من الأزهر على

ظهورهم ويخرجونها منه. ودامت الحال على ذلك مدة من الزمن وذات يوم من عام ٧١٧ قتل الحاكم بأمر الله ووجد الناس الخلاص من شروره. لقد تحدثوا كثيرًا عن سفاهة الحاكم بأمر الله وقالوا إنه فى مذهبه متأثر بالمعتزلة وعند بعض المؤرخين أنه لم يكن على أى مذهب كان. لذلك لا يصلى فى هذا الجامع كثير من الناس. ولقد أصبحت ساحته محكمة ولذلك كان فى وسطه طريق يقطعونه من باب النصر إلى باب الفتوح.

جامع الظاهر بيبرس

مملوك للعباسيين وأحد خلفائهم، وجامعه فى الجهة الشمالية للقاهرة على أطراف المدينة وهو كذلك جامع كأنه القلعة وفى عهد الظاهر بيبرس أعمل السيف فى الصليبيين فى بيت المقدس، وبعد أن فتحه بنى هذا الجامع من مال الغنائم. وليس فى القاهرة جامع مثله فى زخرفته وإتقان بنائه. ومساحته مائة وخمسة وثمانون قدمًا طولاً وعرضًا. وناحية محرابه مائة وسبعون عمودًا من الحجر الصماقى الأحمر واليرقانى والزنبورى والرخام الأبيض. وكل عمود منها يعدل ما يؤديه الروم من خراج. ويتوسط المحراب قبة عالية يحملها اثنا عشر عمودًا رخاميًا غليظًا وهى ترتفع إلى الأفلاك التسعة. وهى مزينة بالزجاج مختلف الألوان. والجدران فى طرف هذه القبة مكسوة من أسفلها إلى أعلاها بالرخام، وأعلى هذا الرخام صورة لشجرة طوبى وكَلستان على صفحة من الميناء، وتحار العيون بمشاهدتها. وفى حرمه عدة أشجار نبق. وله ثلاث منارات صغيرة يبدو أنها ناقصة البناء، والله أعلم. ولهذا الجامع ثلاثة أبواب. والمصلون فى هذا الجامع قلال. وقبة المحراب مكسوة بالرصاص. وفى القاهرة ثلاث قباب مثله مكسوة بالرصاص ولا وجود لسواهم. ويخترق هذا الجامع طريق أصبح طريقًا عامًا. وعلى الأعمدة سقف منقوش بالسيلو واللازورد. وليس له قبة حجرية. وفى جوانبه الأربعة زجاج منقوش. ودقة الصنع فى منبره ومحرابه ومكان مؤذنه لا وجود لها فى جامع آخر. والصنعة المعمارية فى باب قبلة حرمه لا مثيل لها فى ديار أخرى. إنه حقًا جامع جدير بالمشاهدة.

جامع خاى أتابك

من وزراء السلطان حسن. وهو جامع يقع بالقرب من جامع السلطان حسن وعلى صف حمام الدفتردار وأمام دار عوض بك. يصعد إليه بسلم من ثمان درجات. وجميع جدرانه من الأحجار الحمر والبيض المنقرشة. ولا وجود لأعمدة داخل الجامع وله سقف مذهب قائم على روافد. ومنبر محرابه بديع الصنع. وله بابان أحدهما باب الميضأة وهو على الجهة اليمنى. ولوقوع الجامع على الطريق العام الرئيسى فليس له حرم. وباب قبلته مفتوح على الطريق العام، وقد كتب على يمنة ويسرة هذا الباب بخط جلى (بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) وبعد هذه الآية الشريفة كتب على يسرة الباب (أمر بإنشاء هذا الجامع المدرسة المباركة المقر الأشرف العالى المولوى أمير النعى الخاى أتابك العساكر المنصورة الملك الأشرف أعز الله نصره بتاريخ سنة أربع وسبعين وسبعمائة). وعند باب الحديد يقع:

جامع السلطان المؤيد

وهو سلطان ( )[1] رفيع النسب، وهو الذى بنى هذا الجامع منقطع النظير. إنه جامع معلق، أسفله طوابق أرضية ودكاكين وله ثلاثة أبواب ويُصْعَدُ إليه بسلم حجرى من خمس عشرة درجة. وعلى جانبيه سبعون نافذة كلها تطل على السوق السلطانية. ولازدحام الناس فيه فهو أكثر المساجد ازدحامًا بعد الجامع الأزهر. إنه جامع يسرى فيه النسيم ويشرح الصدر. مساحته مائة وستون قدمًا فى مثلها. وناحية محرابه أربعة وثلاثون عمودًا تحمل سقفًا منقوشًا. ولا وجود فيه للقباب. والعقود التى حول حرمه يحيط بها خمسة وتسعون عمودًا.

وبناء على هذا الإحصاء يكون له مائة وثلاثون عمودًا من الرخام تحمل سقفًا. وطرف جدار محرابه مكسو بالرخام وحرمه الواسع الذى يشبه السهل مرصوف بالرخام الأبيض المصقول ولا وجود لنظيره فى أم الدنيا. وهو مجلو على الدوام ولأن هذا

(١) بياض فى الأصل.

الجامع معلق فإن أرضه يابسة وجدرانه الأربعة من الرخام المجلو، وفيه يبدو وجوه الساجدين فى ركوعهم وسجودهم. وبما أن أوقافه كثيرة فخدامه كثير، وهم على الدوام ينظفون الجامع. ويتوسط حرمه حوض عظيم تعلوه قبة عالية مرفوعة على ثمانية أعمدة بديعة من الرخام، وشادروواناتها دائمة الجريان ومنها يجدد المصلون وضوءهم.

وللجامع منارتان وعلى جانبى بابه الحديدى منارتان عاليتان ذات ثلاث طبقات ولكن كل منهما قريبة من الأخرى وغاية فى دقة البناء، وثمة منارة أخرى فى الركن الواقع على يسرة المحراب. والمحراب غاية فى الجمال ومنبره من الخشب المزخرف. كما توجد مقصورة هى مقر المؤذنين مبنية على ثمانية أعمدة رقيقة بديعة. وله سبعون نافذة لها قفص نحاسى ولها مائة وعشرون لوحًا من زجاج.

وخلاصة القول أنه جامع يشرح قلب من يشاهده، وفيه من الثريات ما لا وجود لمثلها فى جامع سواء. وفى محرابه فانوس من النحاس الأصفر. وللجامع ألفا قنديل وكأنه مصباح منير. وهذا الجامع ركين البنيان كالقلعة.

وفى عام ١٠٧٢ حينما كان عمر باشا واليًا على مصر أعلن مماليكه العصيان فتحصنوا فى هذا الجامع، ودام القتال بينه وبينهم ثلاثة أيام بلياليها. وقد حاول استمالتهم فأصدر عفوه عنهم وأمّنهم. إلا أنهم استمروا فى تمردهم عليه واستأنفوا القتال وأغاروا على أرجاء المدينة هنا وهناك؛ فأخرج عمر باشا العلم النبوى المبارك وجعل المنادين ينادون فى المدينة يرددون أنه ليأت من يدينون للسلطان تحت هذا العلم، وأن قتل هؤلاء العصاة حلال، وأموالهم كذلك غنيمة للسلطان. ثم تمنطق عمر باشا بسيف الفاروق عمر وأحضر ما يقرب من خمسة مدافع من طراز «بال يمز» وأقام الحواجز عند حمام الصوباشى ونشب القتال من نوافذ وأسطح المنازل، وأطلق عمر باشا عدة قذائف فأصابت بعضها جامع المؤيد؛ فألقت الرعب فى صدور العصاة فتبدلوا من قرارهم بفرارهم، وتتبعوهم من شارع إلى شارع وأعملوا فيهم السَّيف. وبحسن تدبير عمر باشا دخل القلعة مظفرًا منصورًا ووجد فلولهم فقتلهم.

وبذلك استتب الأمن فى القاهرة. حقًا إن له شجاعة وعدل عمر. ولا تزال آثار قذائف المدافع ماثلة إلى الآن فى بعض مواضع الجامع.

جامع السلطان حسن بن محمد بن قلاوون

كان سلطانًا من عظماء الأتراك وفى النهاية ثار عليه مماليكه واغتاله من يسمى يلبغا الذى قتله الملك الأشرف من أبناء السلطان قلاوون ومزق جسده إربًا إربًا، ونال يلبغا جزاءه. وكان ليلبغا مملوك شركسى يسمى برقوق ويسمونه كذلك برقوق العثمانى لأنه لحق بخدمة السلطان الغازى «خدا وندكار» العثمانى. ولكى يثأر برقوق وجميع الأبخاز والشراكسة من مصر، وبلغوا السلطان طاهر سيف الدين أبا سعيد فى دمشق ووزّر له برقوق. ومن أجل روح سيده يلبغا وعمارة مسجد السلطان حسن أرسل خزانة من الدنانير الذهبية، وبذلك جعل من جامع السلطان حسن فى ميدان الروملى جامعًا عظيمًا وحوله إلى قلعة حصينة. وليس فى بنيانه خشب قط ولا يتصل بالجامع أى بناء آخر. وعلى الجوانب الأربعة للجامع طريق عام، وأساس جدرانه حجارة ضخمة فى حجم الفيل. ومحيطه من الخارج ألفا قدم حتى إنه قيل إن السلطان سليم فاتح مصر عند مقدمه من العادلية رأى هذا الجامع فقال: ما هذه القلعة التى لها منارتان؟!

ويسمونه جامع السلطان حسن، ويقال إن السلطان الغورى قد تحصن فيه وهو يقاتل وذلك وإن دل على شىء فإنما يدل على أنه إلى هذا الحد فى متانة القلعة الحصينة، وهو أكثر متانة من قلعة مصر. حتى إنه فى عام ( )[1] ثار المماليك وتحصنوا بهذا الجامع، وأطلقت المدافع من برج العزب على الجامع إلا أنهم لم يلحقوا به الدمار. والصُدوع إلى الآن ظاهرة فيه.

وجدران هذا الجامع الأربعة عليها نوافذ المدرسة ذات الطبقات العشر. وهى حجرات طوابق المدرسة. وارتفاع جدرانها الأربعة مائة ذراع وهى جدران عظيمة الارتفاع.

(١) بياض فى الأصل.

وللجامع بابان أحدهما فى الناحية الشرقية يفتح على سوق السباهية، وهذا الجامع معلق يصعد إليه بسلم حجرى من عشرين درجة من كلا البابين. وعلى الباب روافد على هيئة المحراب وقد صنعها معمارى ماهر فأحسن أيما إحسان وكأنما صنع السحر.

وارتفاع روافد الباب ثمانون ذراعًا. ومصراعا الباب من النحاس الأصفر دقيق الصنع. ويبلغ طول المصراع عشرين ذراعًا. وعلى جانبى هذا الباب كتب بخط كوفى على لوحة سميكة طولها ثلاثة أقدام الشهادة وقد كتبت بالرخام الأبيض والأسود ولم يظهر فيها أثر للبلى منذ ذلك الزمان. وداخل هذا الباب طريق ضيق وهو مرصوف كذلك بالرخام الخالص. ويكون الوصول إلى باب الحرم بالتقدم مائة قدم فى هذا الطريق. وللحرم كذلك بابان أحدهما ينفتح على ميدان الروملى فى طريق يمتد مائة قدم مرصوف بالرخام. وباب آخر ينفتح على سوق السباهية وهو باب مرتفع متقن الصنع. وداخله باب للحرم كتب عليه: (بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة مولانا السلطان المرحوم الشهيد الملك الناصر حسن ابن مولانا الشهيد المرحوم الناصر محمد بن قلاوون ذلك فى شهور سنة ٧٦٤).

وتبلغ مساحة هذا الجامع مائة وثمانين قدمًا طولا وعرضًا. وعلى الجوانب الأربعة لهذا الحرم العظيم عقود وكل منها كأنها جامع. وليس فى هذا الجامع أعمدة كغيره من الجوامع ولكنه مبنى على روافد. وفوقه وعلى جوانبه الأربعة سبعمائة حجرة للدرس. والآن يقوم على خدمة هذا الجامع خدام متزوجون وفى وسط هذا الحرم العظيم حوض جميل مثمن الشكل، وعلى جوانبه الثمانية أعمدة تقوم عليها قبة عالية. إلا أن مياه هذاالحوض جيرية وقبته دقيقة الصنع.

وجاء فى تاريخ فضائل مصر أنه حينما أرسل يزيد بن معاوية رأس الحسين إلى مصر سنة إحدى وستين للهجرة رغمًا عن أهلها تركت فى موضع جامع السلطان حسن. وكم من يزيدى ركل رأس الحسين وكم من أرجل لهم تورمت وأصبحت كالقربة ومن ذريتهم الآن آلاف لهم أرجل كالقرب. ولكى يحفظ الله هذا الرأس الشريف أظهر بحيرة حوله فلم يستطع اليزيديون ركله، وبعد ذلك أقدمت امرأة من محبى أهل بيت الرسول ﷺ

على ذبح ولدها ليلاً وأخذت رأس الحسين ووضعت مكانه رأس ولدها. وإلى الآن رأسه محفوظ فى مشهده. وفى عهد الخلفاء العباسيين عمر هذا المشهد.

وبعد عام ٧٦٤ أقام السلطان حسن هذا الجامع وأنشأ حوضًا عظيمًا على حافة البحيرة التى ظهرت حول رأس الحسين تبركًا. ولقد ثار مماليك السلطان حسن عليه وضربوا عنقه عند حافة الحوض الذى فيه رأس الحسين وسال دم السلطان حسن فى الموضع الذى كان فيه رأس الحسين.

وفى ذلك الوقت جف ماء الحوض فأنشأ أولاد السلطان حسن فى هذا الموضع ساقية والآن يمتلئ حوض الجامع من ماء الساقية. والآن حوض السلطان حسن مقام رأس الإمام الحسين، ولذا فإن الناس يتوضئون من ماء هذا الحوض ويدعون بالخير للحسن والحسين وموضع المؤذنين فى ذلك الجامع مقام على ثمانية أعمدة رفيعة فى رافد المحراب ولا وجود لمثله فى مصر.

وزخرفة المحراب محلاة بالصدف وطرزها فوق طاقة البشر. والمنبر جدير بالمشاهدة وهو منبر ينتهى بالرخام ولذلك فهو منقطع النظير وزخارفه بديعة وكأنه منبر معلق لأن الناس يمرون تحته ذاهبين عائدين. والأطراف الثلاثة لجدار رافد هذا المنبر رخام طوله ثلاثة أقدام، وهذا الرخام مكسو بألواح الحجر الصماقى الأحمر والرخام. وأمام هذا المحراب دفن السلطان حسن تحت قبة بيضاء عالية. لقد اغتاله مماليكه والله أعلم. ولا وجود فى الدنيا لمثل هذا القبر فعلاوة على النقوش مختلفة الألوان فيه كتب قيمة وبسط منسوجة بخيوط الذهب ومصاحف وثريات نفيسة وعدة مئات من القناديل المرصعة بالجواهر وشمعدانات ومباخر وأوعية لماء الورد. وكأن هذا الضريح ضريح النبى ﷺ. وعلى يمنة المحراب ويسرته نافذتان تطلان على قبر السلطان حسن ولهما قضبان من النحاس إحداهما تبدو وكأنها باب يدخل منه إلى الضريح. ولهاتين النافذتين مصاريع يبلغ طول الواحد منها ثلاثة أقدام، وعرضه باعان. إنها مصاريع مكسوة بالذهب والفضة، ومرصعة بالسيلو واللازورد. وكل مصراع منها يقدر بقيمة خزانة مصرية وهذا حق ولا يستطيع صائغ أن يكسرها بمطرقة ولا أن يبردها بمبرد.

رأينا جوامع الدنيا جميعًا
ولكن ما رأينا مثل هذا الجامع

وفوق جدران المحراب منارتان عاليتان، وقد انهدمت المنارة اليسرى فى عهد الدفتردار إبراهيم باشا فأقاموا منارة أخرى على أساسها، إلا أنها منارة قصيرة من طبقتين. أما المنارة اليمنى فهى عالية من خمس طبقات تضاء بالقناديل. ولا وجود فى مصر لمنارة أعلى من هذه المنارة. وعند الصعود من داخل الجامع إلى سطحه عبر باب المنارة يكون الارتفاع تسعون قدمًا ومن داخل المنارة إلى أعلاها يكون الارتفاع تسعون قدمًا كذلك. وبذلك يكون الارتفاع بتمامه مائة وثمانون قدمًا. ولقد صعدتها فتعبت ركبتاى ثلاثة أيام. إنها منارة عالية وطبقتها الوسطى تتساوى فى الارتفاع مع باب القلعة الداخلية مع عتبته. وبناء على هذا القياس يبدو كيف أن القلعة الداخلية بناء عالٍ طيب النسيم.

وتحت هذا الجامع طريق على جانبيه خمسون دكانًا وميضأة وأحواض شافعية ودار للضيافة وسواق. إنه بناء ركين له أوقاف عظيمة ونظارة هذه الأوقاف لرؤساء خزانة وزير مصر، ويتقاضى الواحد منهم ثلاثة أكياس فى العام.

وأمام محراب جامع السلطان حسن طريق يؤدى إلى:

جامع محمود باشا

من وزراء السلطان سليمان. وقد شيد هذا الجامع عندما كان واليًا على مصر وفى ليلة أول جمعة أدى صلاتها فيه رأى فيما يرى النائم أن السلطان تربع على العرش وعقد الديوان وجمع علماء مصر قاطبة وقال لهم: لى مع محمود باشا نزاع شرعى لماذا أقام جامعًا فى حدودى لقد سرق المصلين من مسجدى. وما الذى يتخذ تجاه هذا التصرف منه؟ وعندئذ قال العلماء جميعًا: ينبغى أن تخلع عليه خلعة لأنه أقام جامعًا أملاً فى رحمة الله به وسرق هذه الرحمة. فغضب السلطان حسن وقال: ينبغى أن أقتل محمود هذا وأستدعى الجلادين، وطلب إلى أن أجثو وضرب عنقى. وقص محمود باشا هذه الرؤيا على إمامه وطلب منه أن يفسرها له. فقال الإمام: خيرًا. وفى اليوم التالى بينما كان محمود باشا فى موكبه يمر أمام جامع السلطان حسن أطلق أحد الجنود الرصاص

عليه وفر القاتل. إلا أن رجال محمود باشا أسقطوا القاتل عن جواده ودفعوا به على جثة محمود باشا وبينما كانوا يضربون عنقه أصاب السيف جثة محمود باشا ففصل رأسه عن جسده وقتلوا القاتل كذلك بجانب جثة محمود باشا. وهو الآن مدفون فى قبر مرتفع أمام محراب جامعه.

وسبب استشهاده هذا المصراع الذى أصبح تاريخًا لوفاته: كانت خاتمة محمود سنة ٩٧٥.

وهذا الجامع جامع لطيف معلق على الطراز التركى ويصعد إليه بسلم حجرى من اثنتى عشرة درجة. إنه جامع صغير لطيف وله منارة على الطراز الاسطنبولى. وعلى يسرة جامع محمود باشا طريق يفضى إلى:

جامع ميرآخور الكبير

إنه كذلك جامع معلق صغير جميل، كل جدرانه مزخرفة. وعلى يمنته باب يصعد إليه بسلم حجرى من ست عشرة درجة. وعلى رافد بابه كتب بالمرمر الأبيض بخط جلى هذه الآية الشريفة: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠]. وعلى يمنة ويسرة هذا الباب كتب على الرخام بخط جلى: (إنشاء أيام هذه المدرسة المباركة من فضل الله المعز الأشرف العالى المولى الوالى لسنغى فانالى أمير اخور الكبير أعزه الله تعالى).

ويعلو بابه منارة رشيقة مربعة من أربع طبقات.

إن هذان الجامعان ليسا من جوامع السلاطين ولكنهما ملتصقان بجامع السلطان حسن ولذا ذكرتهما.

جامع السلطان الغورى

إنه قريب العهد لأنه بنى عام ٩١٦. وبما أنه بنى بعد كل الجوامع الأخرى فقد سرق مهندسهُ تصميمهُ من تلك الجوامع. ومن يتعرف إلى جامع الغورى يدرك أن مهندسه له اليد الطولى. إنه أقام جداره من رخام وسماق ملون ومزج الرخام بالصماق بحيث لم يكن بين هذا وذاك موضع لرجل بعوضة. كما مزج رخام أرضيته بحيث يظن من يراها أن الأرضية من حجر واحد. والرخام الذى فيه كالذى فى قصر الغورى. ولوجود هذا الجامع فى سوق الغورى يؤمه كثير من المصلين.

وبعد أداء الصلوات توصد أبوابه لأن خلاص الجامع من الفلاحين فى مصر غير ممكن لأن هذا الجامع طيب النسيم وكأنه قصر. فإذا فتح على الدوام أعدوه دارًا للضيافة والاستراحة. إنه جامع معلق يصعد إليه من السوق السلطانية بسلم حجرى من تسع درجات وذلك من ناحيتين. وله باب خلف باب القبلة (تاقيه جيلر ايجنه مكشوفدر) ويصعد إليه بسلم حجرى من عشر درجات. وله محراب بديع الصنع يعجز صناع الهند عن صنعه. إلا أن منبره صغير وهو منبر خال من الزخارف لأنه مصنوع من خشب العود. وجوانب هذا الجامع الأربعة لها قباب ذات روافد ولا وجود لأعمدة فيه وهو يزدان بثريات نفيسة مختلفة، ونوافذه تطل على السوق السلطانية وفيها زجاج بديع ينفذ نور الشمس فيجعل الجامع نورًا على نور. وفى جامع السليمانية فى اسطنبول زجاج مثل هذا. ولأن الجامع مبنى فى مكان ضيق ليس له حرم وكأنه قصر عالٍ. وعلى محرابه قبة زرقاء عالية مكسوة من أسفلها إلى أعلاها بالقيشانى اللازوردى. وللجامع منارة من أربع طبقات متشعبة من أسفلها إلى أعلاها وأمام هذا الجامع طريق يفضى إلى:

ضريح السلطان الغورى

ضريح مرتفع إلى عنان السماء وهو مكسو باللازورد بدلاً من الرصاص. إنه الآن زاوية يؤمها المصلون. ولها خدام. وهذا الضريح علوى كذلك يصعد إليه بسلم حجرى من عشر درجات وكأنه قصر ملكى. وفى جوانبه الأربعة كوات تطل على السوق

السلطانية. وهذا الضريح عليه نقوش ذهبية مختلفة الألوان وكأنما بنى بقدرة إلهية وكأنه قصر من قصور إرم ذات العماد. إن اللسان ليعجز عن وصفه ولقد شاء السلطان الغورى ـ رحمه الله ـ أن يجعل هذا الضريح له فأمر بتذهيبه وزخرفته، ولكن «العبد يدبر والله يقدر» وفقد الغورى فى حربه مع السلطان سليم فأصبح هذا الضريح زاوية. وفى هذه الزاوية منشفة وضوء النبى ﷺ ومكحلته ومروده وشعرات من لحيته الشريفة، وهى محفوظة فى صندوق مرصع بالجواهر وهذا الدولاب مغلق. وبعض الأعيان يأتون لمشاهدته تبركًا. وعندما قدمت من بلاد الفرنجة عشيت عيناى من شدة الحر، وجرأت على أن أكحل عينى من مكحلة النبى ﷺ فقوى بصرى ووجدت الفائدة من اكتحالى.

وفى هذا الضريح والجامع المقابل له طلسم له خاصية عجيبة فليس بهما بعوض ولا ذباب ولا بق. وإذا ما داوم على المجىء إليه رجل مقمل لم يبق قمل فى رأسه. إنه طلسم عجيب غريب. ولقد عرفت عدم وجود البعوض والذباب فيه وكنت أداوم على المضى إليه وداومت على أن أنام كأصحاب الكهف لأنه مكان طيب النسيم ولا وجود فيه لعذاب البعوض. وطالما اجتمع فيه ظرفاء القاهرة. إنه جامع يستحق المشاهدة والسلام. ولقد أعيد بناؤه عام ٧٧٧.

جامع السلطان برقوق

مجاهد فى سبيل الله من صفوة الشراكسة. وكان فى أول أمره مملوكًا لمن يسمى يلبغا الذى قتل السلطان حسن صاحب الجامع. وكان برقوق فتًى شركسيًا شجاعًا من قبيلة بسنى الشركسية. وحينما هم الملك الأشرف بالثأر من يلبغا لقتله السلطان حسن وتمكن من قتله ألف برقوق جيشًا من أربعين أو خمسين ألفًا من الشراكسة والأبخاز وثاروا مطالبين بالثأر لسيدهم يلبغا إلا أنهم انهزموا فى النهاية وأبعد برقوق وجميع من معه من الشراكسة والأبخاز إلى الشام. وهناك أصبح سلطانًا عظيم الشأن وفتح عكا وصيدا وبيروت وطرابلس الشام، ثم عاد إلى مصر سلطانًا عظيمًا على رأس جيش جرار. وكان اسمه يذكر فى الخطبة على أنه «الملك الطاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق العثمانى».

وفى عام ٨٠٠ أصبح برقوق هذا أول سلطان من الشراكسة. وقد أقام هذا الجامع من أموال الغزو فى السوق السلطانية. ويؤم هذا الجامع كثير من المصلين. وهو جامع معلق يصعد إليه بسلم حجرى من ثمانى درجات. إنه بناء عظيم على الطراز القديم. ومساحته مائة وسبعون قدمًا فى مثلها. وفى جوانب حرمه الأربعة أربعة عقود ذات روافد. ويتوسط حرمه حوض عظيم ومنبر محرابه من الطراز القديم وله مئذنتان وهما لا تتشابهان، بناهما معمارى بارع بذل قصاراه فى بنائهما فصنع مئذنتين بديعتين وكل منهما من ثلاث طبقات. وليس للجامع باب يطل على السوق. وطاقاته ومصاريع بابه النحاسية يعجز عنها الوصف. وهو مشهور بين جميع الرحالة بباب «البرقوقية». وكتب على محراب هذا الجامع قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾[1]. وتحت هذه الآية تاريخ هو: (أمر بعمارت فى أيام مولانا السلطان برقوق سنة سبع وسبعين وسبعمائه. ولا وجود لأعمدة داخل هذا الجامع، وكله بناء ذو روافد والرخام الذى فيه لا وجود له فى سواه ويتصل بهذا الجامع:

جامع الملك الكامل محمد

كان السلطان الكامل سلطانًا شجاعًا مشهورًا تقيًا من صفوة سلاطين الأيوبيين، وهو الذى بنى هذا الجامع وطرازه هو عين طراز جامع السلطان برقوق، ولا فرق بينهما البتة. وإن كان بينهما فرق فهو فى المنارة التى تختلف فى طرازها عن منارة جامع برقوق. كما أن قبةهذا الجامع أكثر ارتفاعًا من قبة جامع برقوق إلا أنها قبة مستديرة من الخشب. وله قبة أخرى مكسوة بالرصاص، فالفرق بينهما فى المنارة والقبة ليس إلا. والسلام.

وعلى جانب جامع البرقوقية:

(١) الآية الكريمة ٥٠ من سورة الروم.

جامع السلطان ناصر الدين

سلطان غازى حسيب النسب من سلاطين الأيوبيين، وهذا ما يبدو من آثاره. وله جامع عظيم يشبه جامع السلطان حسن. وداخله مصمم على نفس الغرار. وله أربعة عقود. وهو بناء ذو روافد ولا أعمدة بداخله. ومساحته مائة وخمسون قدمًا فى مثلها. ومنارته كأنها برج مزخرف يعجز عنها الوصف. ويتوسطه حوض شافعى مساحته عشرة أقدام فى مثلها. وعلى باب الحرم تاريخ مكتوب هو:

(بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا الجامع والمدرسة المباركة السلطان العادل ناصر الدين بن محمد بن السلطان سيف الدين بن السلطان قلاوون الصالحى) ومقابل هذا الجامع:

جامع السلطان الطاهر

إنه جامع معلق كذلك يصعد إليه بسلم حجرى من بضع درجات. وهو جامع عتيق ومساحته مائة وسبعون قدمًا فى مثلها. وعلى جوانب حرمه الأربعة أربعة عقود عليها روافد. وفى حرمه حوض ومنبره قديم الطراز. ومنارته من ثلاث طبقات ورخام حرمه ليس متقن الصنع إلى حد بعيد. ولكن فى هذا الجامع روحانية. وتجاه هذا الجامع طريق يفضى إلى:

جامع السلطان قلاوون الصالحى

سلطان عظيم الشأن من آل ( )[1]. إنه جامع معلق فى السوق. ويصعد إليه بسلم حجرى من خمس درجات. وله باب مزخرف عليه تاريخ مكتوب هو:

(أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك فى أيام مولانا السلطان الأعظم الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحى، وكان ابتداء عمارة ذلك فى ربيع الآخر سنة ٦٨٣). وفى أطراف حرمه العظيم أربعة صفوف من العقود. ثلاثة منها روافد أما فى العقد الذى فى جهة المحراب سقف منقوش مقام على ثمانية أعمدة من الرخام ومحرابه مزين بالصدف بديع الصنع. أما منبره فمزخرف بالرسوم النباتية. ويتوسط حرمه أربعة عشر

(١) بياض فى الأصل.

عمودًا دقيقًا من الرخام، عليها قبة عالية ذات سقف وتحتها حوض شافعى مساحته عشرة أقدام فى مثلها. ونافورته تتدفق كأنها السلسبيل. وعلى الطريق بعيدًا عن الجامع منارة من ثلاث طبقات كأنها برج قلعة وهى مرتفعة للغاية. ويؤم الجامع كثير من المصلين لأن به مستشفى قلاوون والمبرات السلطانية. ولهم مؤسسات خيرية وأوقاف كثيرة. ويتصدق على خمسة أو عشرة آلاف غريب فى كل يوم على الدوام. وسوف أتحدث عن مستشفاه ومبراته فى موضعهما بمشيئة الله.

جامع السلطان الصالح

أحد سلاطين الأكراد. دبّر الأمور فى مصر، وألحق الهزيمة بالصليبيين فى المنصورة ورشيد. ولقد أقام هذا الجامع من مال الغزو. إنه يوسف صلاح الدين بن أيوب الكردى. وهذا الجامع على الطراز القديم إلا أن فيه روحانية وجهة المحراب وخلفه باب، على جوانبه روافد وعقود. وعلى جانبى الحرم ثمانية أعمدة من الرخام. فوقها حجرات المدرسة. ونوافذها تطل على حرم الجامع ومحرابه ومنبره على الطراز القديم. ويتوسط حرمه حوض شافعى. وله منارة وباب، وعلى يسرة الحرم «سبيل خانه» وخلفه قبر عالٍ دفن فيه السلطان الصالح. إنه ملك غاية فى عظمته. ومن أبنائه سبعة سلاطين. كما أن سبعة من أحفاده خلفاء. وأوقافه معمورة إلى الآن.

وعلى محرابه تاريخ تعمير هذا الجامع وترميمه وهو:

أتحف الله مصرنا بوزير قد تسمى باسمه الجليل الكريم، ثم تجديده سعد تاريخ نجم أشراف أحمد المرحومى سنة ١٠٦٣. وكان هذا الجامع بناء قديمًا ثم أصبح بناء جديدًا، وأصبح جامعًا هو نور على نور. إنه جامع عتيق. وعلى الطريق العام قبالة هذا الجامع يقع:

جامع السلطان الأشرف

آخر سلاطين الأيوبيين. وهذا الجامع معلق. يصعد إليه بسلم حجرى من ست درجات إنه جامع بديع وكأنما بناه معمارى لتوه. وهو جامع تنشرح له الصدور وهو يشبه جامع السلطان الصالح فى وجود عقود ذات روافد ناحية محرابه، ولا وجود

لعقود فى جوانبه. ولكن له جدران. ووسطه مكشوف ولا حرم له ـ وكل جوانبه الأربعة مكسوة بالرخام بسمك قدم. ولوقوع هذا الجامع فى السوق السلطانية يؤمه كثير من المصلين. وله منارة من ثلاث طبقات.

وهذه الجوامع السلطانية السبعة سالفة الذكر تقاربت جدرانها ومناراتها ومعظم الجوامع فى القاهرة على هذه الصفة.

جامع السلطان جان بولاد زاده

إنه جامع معلق يصعد إليه بسلم حجرى من عشر درجات. وسلم هذا الجامع خارج القلعة. ولقد أقيم هذا الجامع على أسوار القلعة وهو متصل بباب الناصر. إنه جامع صغير لا حرم له وهو منقطع النظير ليس فى القاهرة وحدها بل فى جميع بلاد المسلمين التى زرتها. وله قبتان عاليتان وهما مربعتان مدببتان، وقد بنيتا على حجر طوله ذراع وليس لهما من نظير فى بلد آخر. وهما ليستا مكسوتان بالجص ولا بالرصاص. ولكنهما من حجر وهذا الحجر معروف فى مصر وحدها وفى مناطق أخرى قباب من الحجر مثل هذه القباب إلا أنها على غرار هاتين القبتين. وكان للبناء قواعد وأصول روعيت منذ الزمان الغابر فى مصر وكان بناء كل قبة على نسق خاص، ولذلك لم يكن بين هذه القباب تشابه.

كما أن المنارات فى القاهرة كان زخارف كل منها تختلف عن زخارف الأخرى، وكل منها أقيم على طاز خاص. مما أضفى على المدينة زينة. ولجامع جان بولاد زاده هذا منارة رشيقة من ثلاث طبقات وهى منارة غاية فى جمالها. وعند عودة أمير الحج المصرى من مكة إلى مصر فى اليوم السادس من شهر صفر الخير يأتى مع المحمل الشريف إلى هذا الجامع ويحتشد فيه العلماء والصلحاء ويقضون ليلة فى تلاوة المولد وذكر الله وتوحيده. وفى صباح اليوم التالى يمضى أمير الحج بالمحمل فى موكب عظيم إلى الباشا لتسليمه إليه. فجامع جان بولاد زاده جامع مبارك.

وبالدخول من باب الناصر وبالقرب من وكالة جعفر يواجه:

جامع السلطان بيبرس

أحد مماليك بنى العباس. وليس هذا الجامع كبيراً. ولكنه بنى بمال الغزو ولذا له روحانية. ولا وجود لأعمدة بداخله. وعلى جوانبه الأربعة صفات عقود. والجدران التى حوله مكسوة بأحجار مختلفة وحجارته الأخرى رخام وكل حجر منها فى حجم السجادة. ومحرابه ومنبره من الطراز القديم ومنارته من ثلاث طبقات وهى من طراز آخر. وعند باب الصوباشى وأمام الباب الحديدى يقع:

جامع السلطان صالح حاجى

آخر سلاطين البحرية ويحتمل أن يكون هذا الجامع للسلطان يوسف صلاح الدين والله أعلم؛ لأنه جامع عتيق ولكنه ليس كبيراً. إنه مقام على أربعين عموداً ومحرابه ومنبره لا دقة فى صنعهما. وفى حرمه شجرة نبق عظيمة ولهذا الجامع ثلاثة أبواب من حديد. والباب الذى من ناحية قصر الصوباشى موصد. إنه جامع معلق والجزء السفلى منه تحت الأرض وفى المكان الذى يسمى ديلم سجن للصوباشى وكأنه الجحيم ويسجن فيه المجرمون والمستحقون القتل. ولهذا الجامع منارة عتيقة من طبقتين وعند الباب القبلى لهذا الجامع محكمة «مبين شرع الرسول».

وبالقرب من جامع النظامية:

جامع السلطان قان باى الچركسى

عزل سبعة سلاطين من التركمان فى يوم واحد وثمل عين بعضهم. وهؤلاء السبعة مدفونون أمام محراب هذا الجامع. والسلطان «چيقماق» مدفون بين هؤلاء السلاطين السبعة. ولهذا الجامع باب مفتوح على الناحية القبلية وعلى طرفى هذا الباب تاريخ مكتوب بخط جلى على الرخام وهو قوله: (بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ إلى آخر الآية [التوبة: ١٨]. ثم (بتاريخ شهر ربيع سنة ٨٨٤).

إنه جامع معلق صغير جدًا. له منارة منخفضة منطبقتين. وقباب هذا الجامع من الحجر ويؤمه قليل من المصلين وهو واقع فى موضع طيب النسيم. وبعد باب الوزير يواجه جامع «أم الحسن» وداخله قرافة المجاورين وبداخلها باب متروك أمامه:

جامع أرسلان قاى

له سلم يتألف من ست درجات. وهو جامع معلق بديع ولكنه صغير. وليس له حرم وله منارة من طبقتين. وفى الميدان الذى يطل عليه باب قبلته سوق الغلال وهذا الجامع متصل بأسوار القلعة. ولكن الرمال غطت أسوار القلعة وأهالى هذا الجامع يخشون عادية اللصوص. وفى القلعة الداخلية يقع:

جامع السلطان قلاوون

أحد سلاطين آل أيوب. إنه جامع من طابق واحد عظيم كأنه القلعة ومساحته مائة وخمسون قدمًا فى مثلها. وناحية محرابة ثمانية وثلاثون عمودًا تحمل سقفًا. وعلى محرابه قبة عالية مغطاة بالجص الأبيض. إلا أنها قبة من نور، وداخلها محلى بنقوش ذهبية «البهزاد» وقد أقيمت هذه القبة على عشرة أعمدة عالية من الحجر الصماقى الأحمر. والمحراب من الحجر. ومنبره منبر صغير منخفض من الرخام الأبيض. وكتب على باب منبره الآية الشريفة: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]. وعلى يمنة المنبر قفص حديدى مربع وداخله مصلى خاص بالباشاوات. وهو قفص مشبك متقن الصنع بديع الشكل وكأنما صنع حديده داود ـ عليه السلام ـ. ومثل هذا القفص فى المدينة المنورة وهو شبكة رسول الله ﷺ. وفى أطراف هذا الجامع صفّات عليها ستة وثلاثون عمودًا من الرخام الأبيض عليها عقود وفوقها سقف منقوش مزين بالسيلو واللازورد وحمر الألوان، والسقف من أوله إلى آخره ثقوب ثُمَانية الزوايا وهذه الثقوب على هيئة الأطباق ذلك أن السلطان قلاوون فى سماطه المحمدى على الدوام كان يقدم الطعام فى ثلاثة آلاف طبق من الخزف المرتبانى الأخضر ورمزًا إلى هذه الأطباق زين السقف بثلاثة آلاف وحدة زخرفية على هيئتها. ومساحة كل وحدة زخرفية تتسع لإنسان. وجدران هذا الجامع محلاة من أعلاها إلى

أسفلها بالصدف كما أن بعض المواضع فى جدرانه من الرخام. وليس فى القاهرة جامع كل جدرانه مكسوة بالرخام المزخرف.

وللجامع بابان. ولقد أوصد «طوب اتان باشا» الباب القبلى. أما أبوابه الجانبية فمصنوعة من النحاس. وموضع مؤذنه فوق ستة عشر عمودًا رقيقًا من الرخام الأبيض فكأنه مقصورة «إرم ذات العماد». وللجامع باب آخر هو باب الميضأة ويقع هذا الباب فى الركن الأيسر للمحراب. وفى طرف حوض هذه الميضأة منارة رشيقة من طبقتين مكسوة بالقيشانى الأخضر كذلك. وحرم الجامع مرصوف بالرخام الأبيض من أوله إلى آخره. ولهذا الجامع أوقاف عظيمة. وهو يطل على مقر رياسة جاويشية معسكر الانكشارية. ولا وجود لمؤذنين فى الجوامع الأخرى لهم حسن صوت مؤذنى هذا الجامع. والباشا يستمع إلى تواشيحهم وابتهالاتهم فى كل ليلة. ويؤدى الباشاوات صلاة الجمعة غالبًا فى ذلك الجامع. وقد صنع صانع ماهر ساعة شمسية لمعرفة مواقيت الصلاة الثلاثة فى حرم الجامع وكأنها ساعة على قوشجى. وثمة جامع آخر فى ميدان قصر الباشا وهو:

جامع السلطان الملك الناصر فرج

يسمى جامع دهيشة وسبب تسميته بذلك الاسم أنه كان ديرًا فى عصر القبط لفتاة قبطية تسمى «دهيشة» ولكن السلطان فرج هو الذى بناه. ويصعد إليه بسلم من ست درجات وهو جامع علوى وله بابان جانبيان وليس له باب للقبلة. وأعمدة هذا الجامع أعمدة مربعة ذات قواعد يبلغ عددها ( )[1] عمودًا عليها سقف خشبى أخضر وعلى يمنة ويسرة بابه الكبير تاريخ السلطان فرج. وكواته تطل على ميدان القصر. إنه جامع صغير لا حرم له. له منارة منخفضة من طبقة واحدة. وقد مال محرابه نحو أحد الأركان والحقيقة أنه كان ديرًا فى ماضى الزمان. وله مؤذنان رخيم صوتهما وخطيب من صلحاء الأمة. وبالقرب من بركة الأوزبكية يقع:

(١) بياض فى الأصل.

جامع السلطان أوزبك

من سلاطين آل ( )[1]. وهو جامع علوى يرتفع ستة أقدام. ومساحته مائة قدم طولاً وعرضًا. وله سقف أزرق اللون مرفوع على ثمانية وثلاثين عمودًا من الرخام. ومنبره ومحرابه من الطراز القديم. وله بابان جانبيان وباب للقبلة ومنارة رشيقة جميلة من ثلاث طبقات.

وفى الدرب الأحمر يقع:

جامع أم السلطان حسن

جامع معلق يصعد إليه من باب مطل على الطريق بسلم حجرى من ثمانى درجات وله منارة رشيقة من أربع طبقات. إنه جامع غاية فى الجمال إلا أنه بلا حرم وكواته تطل على الطريق العام. ولا أعمدة بداخله. وسقفه منقوش مقام على عقود ومحرابه ومنبره خاليان من الزخارف. وعلى نفس الطريق يقع:

جامع السلطان مردان

من تجار الأكراد. وكان قصابًا فيما مضى. وكانت تأتى إليه امرأة على الدوام وتشترى من مردان هذا خروفًا. واتفق ذات يوم أن تعقبها مردان هذا ليعلم إلى أى مكان تمضى بهذا الخروف فتابع السير فى أثرها. فرأى أنها دخلت جوف مغارة فى جبل الجوشى بهذا الخروف. وكان فى هذه المغارة دب مخيف فوضعت الخروف أمام الدب. وبعد أن التهم الدب الخروف باشر هذه المرأة. فرأى مردان القصاب هذا من أمر المرأة فبلغ منه العجب مبلغه. فظن أن فى الغار كنز أو مقبرة للمجوس. وعاد مردان القصاب إلى دكانه. وفى صباح اليوم التالى اشترت المرأة خروفًا ومضت إلى المغارة فتمنطق مردان بالساطور فى شجاعة ومضى إلى المغارة. ورأى المرأة مع الدب فصاح قائلاً: الله وقتل الدب. واستجوب المرأة فقالت: والله إن هذا الدب كان موكلاً بهذا الكنز. وكلفنى والدى بهذا الأمر فكنت آخذ من هذا المال وأشترى خروفًا فى كل يوم وأطعم الدب الذى يجامعنى. وهنا أنت خلصتنى من ذلك الأمر. لذا أصبح ذلك المال الجزيل

(١) بياض فى الأصل.

من حقك. وإذا ما شئت فالأمر كذلك. فأخذ مردان هذا المال الجزيل ومضى بالمرأة إلى السلطان وقص كل منهما الخبر عليه. فقال السلطان: يا مردان أعطنا عشر هذا المال. وتصرف كيفما شئت فيه.

فكره مردان أن يحمل المال ووزعه على فقراء القاهرة. ومن هذا الكنز أقام مسجدًا، ومات السلطان فنصّبوا مردانًا سلطانًا مستقلاً.

إنه جامع معلق مزخرف جميل له سقف منقوش يقوم على ستين عمودًا من الرخام. وله حرم واسع. وله بابان جانبيان وباب للقبلة. ومنارته من ثلاث طبقات ومنبره من الخشب المنقوش وهو غاية فى جماله. ومحرابه محلى بالصدف. والجامع مزين بالثريات النفيسة، وله فوانيس نحاسية داخلها آلاف من القناديل. كما أن بسطه الحريرية لا وجود لها فى جامع آخر. وأغلب المصلين فيه من الترك. وله خدام كثيرون. كما أن أوقافه عظيمة.

وبالقرب من السيدة نفيسة:

جامع السلطان خير الأم

إنه جامع عتيق. ولكن المصلين فيه قليل. وفنونه الزخرفية قديمة الطراز يعجز اللسان والقلم عن وصفها. وقد بليت منارته وضاعت أوقافه.

وبالقرب من هذا الجامع يقع:

جامع السلطان عبد العزيز

من سلاطين العباسيين. إنه جامع صغير. له سقف يحمله اثنا عشر عمودًا من الرخام. ومحرابه خال من النقوش. ومنبره من الخشب المزخرف. وله منارة رشيقة جميلة. ولأن السيدة نفيسة مدفونة أمام محراب هذا الجامع سمى بجامع السيدة نفيسة.

وفى أسفل المدينة فى حارة صانعى العمائم يقع:

جامع پيك خانه

إنه جامع أرضى يؤمه كثير من المصلين.

وفى حارة الوزانين يقع:

جامع عصام الدين

إنه جامع غاية فى صغره.

وتجاه قصر رضوان بك طريق يفضى إلى:

جامع محمود بك

وهو على رأس حارة صانعى الخفاف. إنه جامع صغير لا حرم له ولكنه جامع نظيف بديع. ومحرابه مزين بالأحجار. وعلى جانبيه أعمدة فى غلظ الذراع وكأنما ينثر الجوهر. والمصابون باليرقان إذا داوموا ثلاثة أسابيع على لعق أعمدته شفوا من هذا المرض بإذن الله. ولهذا الجامع منارة جميلة.

وفى هذه السوق تقع «الصراج خانه» وبها:

جامع جانم بهلوان

جامع معلق يصعد إليه بسلم من ست درجات. إنه غاية فى الجمال. له منارة رشيقة من ثلاث طبقات. وبالقرب منه:

جامع ( )[1]

جامع معلق كذلك وهو يكتظ بالمصلين. وله منارة رشيقة عالية من ثلاث طبقات وعلى رأس حى «الخيامة»:

جامع جان بكيه

كتب على بابه قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا﴾ [فصلت: ٣٠]، كما كتب بعد هذه الآية تاريخ هو (سنة اثنين وثمانمائة). إنه جامع معلق يصعد إليه من طرفه بسلم من خمس درجات. وهو جامع منير. إلا أنه صغير وبالقرب من سوق الصليبة:

جامع أمير الماس حاجب سلطانى

إنه جامع صغير أرضى. ولكنه نظيف للغاية، وفيه روحانية، ولا ينقطع عنه المصلون، وقد بنى من مال الزكاة، لذلك يسكن فيه الصوفية. وإذا ما وجد أحد فى

(١) بياض فى الأصل.

نفسه ألمًا وصلى فيه زال عنه ألمه وطاب نفسًا. وله ثمانية وعشرون عمودًا تحمل سقفًا مذهبًا. وفى حرمه شجرة نبق وثمارها فى حجم الجوزة. وعلى أربعة أعمدة صغيرة من الرخام يرتفع عليها قبة صغيرة تحتها صنابير. ومحرابه من الطراز القديم. ومنبره من الرخام الأبيض. وعلى بابه تاريخ مكتوب هو:

(أمر بإنشاء هذا المكان المبارك الفقير أمير الماس حاجب فى شهور سنة سبع وعشرين وسبعمائة وكماله سنة ثلاثين من الهجرة النبوية المحمدية) وهو جامع ذو منارة.

وفى سوق الصليبة:

جامع الشيخونية

من وزراء السلطان حسن. ولأنه كردى الأصل فهو شجاع مقدام. وله سيرة عمر كما أن اسمه عمر. وله عمائر شيدها منها مبرتان متشابهتان. إلا أن الجامع الذى شيده على الجانب الأيسر من الطريق العام جامع مرتفع منير. وكل منهما يرتفع بمقدار سبعة أقدام. ومساحته مائة وستون قدمًا فى مثلها. وجملة أعمدته خمسة وأربعون عمودًا من رخام عليها سقف منقوش. وله باب وحرمه مرصوف بالرخام من أوله إلى آخره. ولأن له أوقافًا عظيمةً خدامه كثير، وهم يعنون بتنظيفه إلى أبعد حد. وله منبر خشبى مزخرف. ومحرابه مزين بحجارة ذات ألوان. وعلى الجدار الواقع على يسرة المحراب لوحة عظيمة، رسم عليها رسام بارع صورة للكعبة كتلك الكعبة التى فى مكة المكرمة تمامًا. والتكية الشيخونية الواقعة قبالة هذا الجامع مثله تمامًا. وهى تكية للقادرية وسوف توصف هذه التكايا فى موضعه.

وبعد الشيخونية أثناء الذهاب إلى ميدان الروملى يقع على الجانب الأيمن:

الجامع المحمدى

جامع صغير معلق وله منارة شاهقة. إلا أنى لم أدخله ولم أُصَلِّ فيه.

جامع أَلْتِى برماق افندى

يصعد إليه بسلم حجرى من ست درجات. إنه جامع جميل. وواعظه الناصح وجميع المصلين فيه من الترك. وله باب وسقف خال من النقوش يقوم على أعمدة. ولكن ليس له حرم. ولأنه جامع علوى تحته ستة دكاكين. وله منارة منخفضة.

وأمام محرابه دفن «ألْتِى بارمق افندى» صاحب السيرة النبوية.

وقبالة هذا الجامع أسفل السهل يقع:

جامع المرزبانية

إنه جامع جميل ينشرح له صدر من يشاهده. له سقف منقوش يقوم على عشرين عمودًا جميلاً. ومحرابه ومنبره غاية فى جمال الصنع. وفى حرمه نخلة عظيمة.

جامع الداودية

من وزراء السلطان سليمان. كانت له الولاية على مصر بعد سليمان باشا الطواشى، وهو الذى بنى هذا الجامع. حقًا إنه صنيع الوزراء. فأقام هذا الجامع الذى لا يشبهه جامع أقامه وزير. ويصعد إليه بسلم حجرى من عشرين درجة من ثلاثة أبواب. إنه مرتفع البنيان. وقد أقيم على ستين عمودًا. وفى جهة محرابه وحرمه ستون قبة مستديرة من الحجر، وهى مكسوة بالجص الأبيض. وعلى كل قبة علم من الرخام. وحرمه واسع مرصوف بالرخام. ومحرابه ومنبره ومنارته ذات الطبقة الواحدة على الطراز التركى. وعلاوة على حرمه العلوى له حرم سفلى. والجامع فى جدرانه يشبه قلعة صغيرة. ولا يتصل بأى بناء آخر. والجامع يؤمه عدد غفير من المصلين.

جامع اسكندر باشا

كانت له ولاية مصر بعد «دوقه كين محمد باشا». وهو كذلك من وزراء السلطان سليمان. ومن الحق قولنا إنه جامع منقطع النظير. وهو يشبه جامع رستم باشا فى اسطنبول الذى يؤمه المصلون ليل نهار. إنه جامع منّور. وبداخله ثمانية أعمدة وكواته تطل على الطريق الرئيسى. ومحرابه ومنبره خاليان من الزخارف. إلا أنهما جميلان.

وليس له حرم لأنه واقع فى حارة ضيقة. وتجرى بركة مصر خلفه ومنارته كالمنارة التركية من طبقة واحدة لها ستة أبواب.

جامع منجك اليوسفى

من وزراء السلطان حسن، وهو صاحب جوسق منجك الواقع فى ميدان «كوك» فى دمشق. إنه جامع عتيق مقام على صخرة واطئة تحت جامع النظامية. وله منارة.

جامع الشيخ نظامى الأصفهانى

إنه جامع يقع خارج باب الوزير. وهو جامع جميل يقوم على ربوة. إنه أكمل الجوامع فى مدينة القاهرة. ولا وجود لأعمدة بداخله. وله سقف لطيف منقوش وله منارة رشيقة عالية من ثلاث طبقات. إنه تكية عظيمة للخلوتية، وسوف تذكر عند حديثنا عن التكايا. وقد بنى هذا الجامع سيدى نظامى الأصفهانى فى خلافة السلطان محمد بن السلطان قلاوون الصالحى بماله الحلال. وتم بناؤه عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة. وسيدى الشيخ الأصفهانى مدفون فى هذا الجامع قدّس سره العزيز. وداخل باب العزب يقع:

جامع العزب

إنه جامع صغير. ولوقوعه أمام عتبة العزب يؤمه كثير من المصلين. لكن ليس للجامع حرم. وقد شيد إبراهيم كتخدا له منارة رشيقة جميلة على الطراز التركى.

وبعد هذا الجامع سور القلعة وعليه عطفة بداخلها يقع:

جامع السلطان المؤيد

يقع هذا الجامع فى نهاية باب الوزير. وهو الآن مغلق وموضعه ظاهر، إنه جامع مرتفع. وله نوافذ تطل على سور القلعة على طريق الوزير. ولا أعمدة بداخله. إنه صغير ولا حرم له. وله منارة قصيرة تفى بالغرض. وبعد جامع المؤيد فى القلعة الداخلية:

جامع سليمان باشا

كان يدعى «طواشى سليمان باشا الأبيض». وقد وزّر فى مصر مرتين. مضى إلى الهند من السويس بمائتى سفينة. وفتح مدن «بندرديوى» و «شهربندر صورتى» وسبع

مدن أخرى وقضى على البرتغاليين هناك. وقد فتح اليمن كذلك بأموال الغنائم وجعل «أوردمير بك» قائدًا للحبشة وفتحها. وقد بنى هذا الجامع بأموال الغزو. وليس فى الجامع أخشاب وكله أبنية من الحجر. وله قبة مستديرة زرقاء أسفلها مكو بالرخام. ومحرابه من الحجر بديع الصنعة. وعلى جانبى الحرم شمعدانات مذهبة يبلغ طول الواحد منها قدمًا. ويوضع فيها فى كل ليلة شمع العسل بطول قدمين. وهذه الشمعدانات ليست خاصة بجامع فى القاهرة. والمنبر من الرخام بديع الصنع. وفى الجامع عدة آلاف من الثريات المعلقة. وأمام محرابه أربعون آية من آيات الذكر الحكيم. وكل منها كنز، وبسطه رائعة. وللجامع بابان جانبيان وباب للقبلة. وهو جامع صغير مساحته مائة وعشرون قدمًا فى مثلها ولكنه درّ يتيم. وحرمه الخارجى تبلغ مساحته مائة قدم فى مثلها. وعلى صفاته الجانبية عشرة أعمدة من الرخام تحمل قبابًا صغيرة مستديرة. والقباب الكبيرة والصغيرة مكسوة بالقيشانى اللازوردى. وباب المحراب محلى بالزخارف وكأنه السحر المبين. وجدران صُفَّات هذا الحرم مكسوة بالرخام والحجر الصماقى بسمك قدم.

وعلى الرخام كتب خطاط بارع بالخط الكوفى آية الكرسى ولا يشبهه خط كوفى ويأتى الرحالة لمشاهدته. والحرم مرصوف بالرخام الأبيض من أوله إلى آخره. وهو نظيف مجلو بحيث يبدو فيه وجه الإنسان ولونه كأنه مرآة. ولهذا الحرم ثلاثة أبواب وله بابان جانبيان أحدهما باب القبلة. وسيدى الشيخ «سارية» وهو من الصحابة الكرام مدفون فى قبر بداخله.

إنه سارية الذى أمَّرَهُ الفاروق عمر على مدينة نهاوند فى بلاد العجم. وبينما كان يحارب فى بلاد العجم وبينما كان عمر يخطب المسلمين خطبة الجمعة فى المدينة المنورة رأى بعين قلبه أنَّ سارية ينهزم فى بلاد العجم، فصاح قائلاً: «يا سارية إلى الجبل إلى الجبل». فأخذ العجب من الناس كل مأخذ فسمع سارية ـ وعدد من جنوده فى نهاوند ـ صيحة عمر فولوا ظهرهم الجبل. فكان لهم النصر على العجم بإذن الله. وعندما رجع سارية إلى المدينة مظفراً سمع أن عمر صاح قائلاً: «يا سارية إلى الجبل إلى الجبل»

فى يوم جمعة. وبذلك زاد المؤرخون محبة لعمر. وها هو الصحابى الجليل يدفن فى غار وعلى هذا الغار أقيمت تكية وضريح. وعلى باب قبلة هذا الجامع تاريخ مكتوب هو:

(قد بنى عمر السلطان الجناب العالى مملوك السلطان سليمان خان بن سليم خان من آل عثمان أدام الله دولته إلى يوم الدين وهو أمير الأمراء لمصر القاهرة سليمان باشا جعل اللهم من الفائزين مسجدًا لوجه الله الملك المعين وطلبًا رضاء رب العالمين ليعبد فيه عباد الله الصالحين وكان تاريخه فاركعوا لله مع الراكعين سنة ٩٣٥).

وعلى المصراع الأيمن لباب القبلة هذا كتب بخط مذهب (بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ {الزمر: ٧٣}).

وكتب على المصراع الأيسر من هذا الباب قوله ـ تعالى ـ : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ صدق الله العظيم {الزمر: ٧٣}.

إنه باب عالى. ولهذا الجامع حرم آخر شرق قبلته. وفيه حوض وشادروان جار. وللحوض صنابير كثيرة يتوضأ منها كثير من المصلين. وقبة هذا الجامع ليست مكسوة بالجص كغيرها من قباب الجوامع الأخرى فى مدينة القاهرة. وهى من أعلاها إلى أسفلها مكسوة بالقيشانى اللازوردى. ومن شاهدها من بعيد خالها مكسوة بالرصاص. ولهذا الجامع منارة تتألف من طبقتين. وهى أعلى من كل ما فى القاهرة من منائر. وقد بنيت على طراز منائر اسطنبول. ومحراب هذا الجامع يقع تحت نصف قبة. وتطل نوافذ هذا المحراب على بستان. وبذلك يتنسم المصلون فى هذا الجامع أزهار ذلك البستان. وناظر وقف هذا الجامع من أغاوات الانكشارية. ولذلك أوقافه عظيمة. وبما أن رئيس الانكشارية يداوم على أداء الصلوات الخمس فيه فهو نظيف على الدوام.

وفى داخل باب اللوق يقع:

أوصاف جامع البَرْمَشِى

إنه جامع معمور مزين يؤمه كثير من المصلين. ومنارته رشيقة مزخرفة عالية من ثلاث طبقات. وفى الدرب الأحمر على رأس شارعين:

أوصاف جامع القَشْماس

أى جامع القَاچمازية. إنه جامع معلق وتحته دكاكين. ويصعد إليه بسلم حجرى من ثمانى درجات. إنه صغير ولكنه لطيف مزين. يؤمه كثير من المصلين. ولكن لا حرم له. ومن جوانبه الأربعة طريق يمر. وهو واقع فى أرض ضيقة.

وبعد هذا الجامع فى نهاية وكالة محمد الحبشى كتخدا:

أوصاف مسجد المِهمَاندارية

يصعد إليه بسلم من خمس درجات. وهو على الطراز القديم. وليس كثير الزخارف. ولكن لوقوعه فى السوق السلطانية يكثر فيه المصلون. وكوات هذا الجامع تطل على الطريق العام وله منارة من طبقتين. وفى الدرب الأحمر كذلك:

جامع إبراهيم أغا

ولقرب عهد مشيد هذا الجامع برئاسة الانكشارية كان هذا الجامع جديدًا كأنما كان الفراغ من بنائه فى التو. وهو جامع معلق. وإذا حاولنا وصفًا لمحرابه ومنبره عجز اللسان ومنارته جميلة عالية تتألف من ثلاث طبقات. وبالقرب منه:

جامع خَيْرَة بك المحمدى

كان وزيرًا للسلطان الغورى. ولقد أشاح عن الغورى وانضم إلى السلطان سليم. وبناء على رأيه وتدبيره فتح سليم مصر. وأسندت أول وزارة لـ «خيرة بك» هذا، وكانت له ولاية مصر خمسة أعوام ونصفًا بنى فيها هذا الجامع. وبعد خيرة بك أسندت وزارة مصر إلى «لاله مصطفى باشا» وبعد عام أصبح الوزير الأعظم فى الدولة، وحل محله «قاسم باشا» ثم أحمد باشا الخائن الذى صلب.

وهذا الجامع نور محض. وكل أبوابه وجدرانه مكسوة بالرخام واليشم الحرقانى والصماقى. ومنبره ومحرابه سحر مبين. ولكنه ليس مبنيًا على عقود. وكله سقف. وفى حرمه مواسير للماء وعدة نخلات. وخيرة بك مدفون فى قبر عال على الطريق العام. وله منارة منقوشة عالية من ثلاث طبقات.

وعند مرور الشراكسةمن أمام هذا الجامع لا ينظرون إليه ولا إلى الضريح. لأنهم حاقدون على خيرة بك هذا لأنه كان عميلاً للعثمانيين. وهو الذى جاء بهم إلى مصر وأخرجها من حوزة الشراكسة. وليس فى القاهرة جامع له ما لهذا الجامع من خدام وأوقاف ونظافة. وعلى طريق باب النصر:

جامع مرزوق كفافى

إنه جامع صغير معلق مقام على أربعة أعمدة تحمل سقفًا. إنه تكية سيدى الشيخ مرزوق كفافى. وله منارة جميلة. وعلى طريق باب الناصر وبالقرب من هذا الجامع:

جامع جمال الدين

إنه جامع معلق صغير ذو منارة. ولكن ليس له حرم.

وبالقرب من هذا الجامع عند خان ذى الفقار كتخدا طريق يفضى إلى:

جامع السلطان سونقور

إنه جامع علوى من الطراز القديم. وله منارة مربعة. وحرمه مرصوف بالرخام المصقول وفى تجاهه طريق يفضى إلى:

جامع الخانقاه

إنه جامع أرضى عتيق له سقف منقوش يقوم على أربعة أعمدة. ومنبره ومحرابه من الطراز القديم. وله حرم واسع. ومنارته من طبقة واحدة خالية من الزخارف. إنه جامع جد وسيع.

وداخل باب اللوق:

جامع ولد عبادة

وهو جامع علوى على ضفة الخليج. وفى حرمه شجرة نبق عظيمة. وبالقرب منه:

جامع ( )[1]

إنه جامع أرضى عظيم الاتساع يقوم على عشرين عمودًا من الرخام. وله منارة منخفضة من طبقة واحدة. وفى حرمه شجرة نبق عتيقة. إلا أنها كثيرة الثمر.

وبالقرب من هذا الجامع:

---

(١) بياض فى الأصل.

جامع الأصمعى

إنه جامع عتيق كثير الزخارف، وفى حرمه أشجار جميز ضخمة. ولكن المصلين فيه قليل وبابه مغلق على الدوام. وبالقرب منه:

جامع مير اخور

وهو معلق تحته دكاكين.

وداخل قنطرة البكرى:

جامع الأبيض

جامع معلق على ضفة الخليج. له سقف منقوش على عشرين عموداً من الرخام الأبيض. وله حرم ومنارة. وحوله حدائق كأنها حدائق إرم. ولوقوع هذا الجامع على ضفة الخليج فهو موضع يستحق الزيارة للمشاهدة.

جامع خان باى

جامع جميل ذو منارة صغيرة. يؤمه كثير من المصلين كلهم من الحضر. وفى أركان هذا الجامع كثير من المعتكفين.

جامع عبد القادر الطشطوشى

إنه جامع واسع الوسط، لا حرم له، ومنارته من ثلاث طبقات. له أربعة محاريب للمذاهب الأربعة. ومنبره من الخشب.

وداخل الباب الجديد:

جامع المغارب

إنه جامع يقوم على عشرين عموداً. وهو مكشوف الوسط. مساحته خمسون قدماً فى مثلها.

وداخل باب الشعرية فى السوق السلطانية:

جامع العمرى

له سقف منقوش يقوم على واحد وثلاثين عموداً. ليس له حرم. ومنارته من ثلاث طبقات.

جامع عابدين بك

جامع معلق يُصعد إليه بسلم من عشرين درجة. وتحته دكاكين. وله سقف يقوم على أربعة وعشرين عمودًا من الرخام الأبيض. وله منارة عالية من طابق واحد على الطراز الاسطنبولى. ولا وجود لمنارة رشيقة مزخرفة مثلها ليس فى القاهرة وحدها بل فى جميع ديار المسلمين.

وأسفل الباب الجديد:

جامع مَرْدَه بك إينالى

إنه جامع معلق على ضفة الخليج له سقف منقوش على أعمدة عالية. ولكن ليس له حرم. ونوافذه تطل على الطريق الرئيسى وعلى الخليج. وفى الجامع محكمة. وله منارة من ثلاث طبقات. وبينما كان القاضى منصور افندى صهر الشيخ على الشمرلى ناظرًا لهذا الجامع عمَّره ورمَّمه وجعله نورًا محضًا. حقًا إنه جامع بديع. ولهذا الجامع بابان. وبابه الأيسر له قنطرة خشبية على الخليج.

وتجاه هذا الجامع سوق الدلالين. وفى هذه السوق:

جامع الجُندى

إنه جامع صغير ومنارته منخفضة.

وكذلك فى السوق:

جامع الداودية الكبير

وهو معلق يُصعد إليه بسلم حجرى من تسع درجات. إنه مزخرف. له منارة رشيقة من ثلاث طبقات. ومحرابه محلى بالصدف.

وعلى باب منبره الرخامى الآية الشريفة: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]. وعلى باب الجامع كتب بخط جلى أبيات هى تاريخ:

بناء على اسام داود صديق، وفى سبيل الهدى قد جد سيرا، حمد ثناه فور خنا بناه، هو حمدا جزا لله خيرا سنة ٩٥٤.

وخارج باب الفتوح:

جامع المطهَّر

إنه جامع على الطراز القديم وبنيانه عظيم ويؤمه كثير من المصلين، وله منارة ولكن لم يتيسر لى دخوله، وهو جامع معلق.

جامع البندقانى

جامع معلق جميل، لم يتيسر لى دخوله. وله باب مزين ومنارة منقوشة من ثلاث طبقات.

وبالقرب منه على طريق البندقانى:

جامع حبشلى محمد كتخدا

يصعد إليه بسلم من خمس درجات. إنه جامع جديد. وله سقف يقوم على أربعين عموداً. وهو سقف غاية فى روعة نقوشه. وله باب يطل على الناحية القبلية ومنارة تركية الطراز.

جامع القيسونى

وهو بالقرب من جامع الداودية الكبير، أمام منزل المرحوم مصطفى افندى أغا الانكشارية:

جامع الشيخ كريم الدين الدبوشرى وجامع الهندى

وجامع الهندى جامع معلق صغير على طريق باب الخَرْق على ضفة الخليج، وله باب على الطريق العام يصعد إليه من ثمانى درجات. وتحته دكاكين. وله منارة مزخرفة ونوافذه تطل على السوق. وسقفه منقوش. ويؤم الجامع كثير من المصلين. إنه جامع بالقرب من بركة الفيل. ومساحة الجامع بحرمه مائة وستون قدمًا فى مثلها. وداخل الجامع وخارجه وتحت موضع المؤذن عشرة أعمدة من الرخام الأبيض. وعلى هذا يكون للجامع مائة عمود يقوم عليها سقف منقوش ومحراب من الرخام والحجر.

ومنبره من الخشب المكسو بالجص ولكنه جميل الصنع. وله أبواب ثلاثة. وفى أسفل عتبته تصاوير متنوعة على الحجر الزنبورى. ويتوسط حرم هذا الجامع الذى يشبه السهل جدار مربع منخفض داخله حديقة يُنْفَحُ منها عبير مسكى. وبها نخلات عظيمة وبجانب

باب القبلة منارة مكسوة بالقيشانى الأخضر كأنها زمردة. إنها منارة عظيمة الارتفاع. وعلى يمنة باب القبلة كتب قوله ـ تعالى ـ: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٨]، وعلى يسرته كتب:

(أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك العبد الفقير إلى الله ـ تعالى ـ قوصون الباقى).

ويصلى فى هذا الجامع أعيان وأشراف الترك ولذلك يهتم خدامه اهتمامًا عظيمًا بتنظيفه. وله خطيب مكرم عندما يتلو آيات الله البينات تنشرح قلوب من يلقون السمع إليه. إنه رجل من صلحاء الأمة. ولأنه من تلامذة أستاذنا الشيخ على شمرلى فهو زميل لى. ولا وجود فى مصر لمن له رخامة صوته الحزين.

ولذلك يأتى حشد كبير من الناس يوم الجمعة لسماع خطبته. ولا يبقى فى الجامع موضع لأحد قبل الخطبة بساعة.

وعلى ضفة بركة الفيل بالقرب من قنطرة السنقور على شاطئ الخليج:

جامع كاتب السر الشيخ إبراهيم

يقع هذا الجامع على الطريق العام، ويصعد إليه بسلم واحد من ست درجات. وعلى يمنة ويسرة هذا الباب كتب على لوح من الرخام قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٨]، ولكن لا تاريخ له. إنه جامع بديع صغير له منارة من ثلاث طبقات ونوافذه القبلية تطل على الطريق الرئيسى. أما نوافذه البحرية فتطل على الخليج. إنه تحفة معمارية.

جامع الحبانية

جامع مقام على عشرين عمودًا. ويصعد إليه بسلم من ست درجات. إنه صغير إلا أنه متين ركين. وعلى بابه منارة من ثلاث طبقات. وناظر هذا الجامع سليم جاوش، ولذلك أبدع فى بنائه.

وفى باب الشعرية:

جامع الشيخ الشعراوى

يُصعد إليه بسلم من إحدى عشرة درجة. إنه جامع معلق وتحته دكاكين. وليس متسعًا. ولا حرم له لأن الخليج عند طرفه فى المدينة. وله سقف يقوم على اثنى عشر عمودًا. ومحرابه ومنبره صغيران. وله منارة جميلة من ثلاث طبقات. وسيدى الشيخ الشعراوى مدفون فى هذا الجامع. وله مؤلفات فى ثلاثمائة مجلد.

وعلى الضفة المقابلة للخليج وعلى الساحل مباشرة:

جامع الشيخ الخلوتى

جامع له عشرون عمودًا تحمل سقفًا منقوشًا. وليست له قبة من حجر. ومحرابه ومنبره خاليان من الزخارف. ونوافذه تطل على الخليج. وفى حرمه حديقة صغيرة بها شجرة نبق عظيمة، ونبقها لذيذ للغاية. وفى زاوية الشيخ محراب من الصماقى الأخضر، ولا وجود لمثله فى مصر؛ ولكن يوجد مثله فى القدس الشريف. وله منارة من ثلاث طبقات. وفى الجوانب الأربعة للتكية الخلوتية ثمان وسبعون حجرة للمتصوفة. وسوف نتحدث عنها فى حينه.

وبالقرب من درب الجماميز:

جامع بَشَك

وهو من الجراكسة، وفى عام ٨١٣ لجأ إلى تيمورلنك بدمشق. إنه جامع جميل ومزين ومجموع أعمدته ستة عشر عمودًا تحمل سقفًا. وفى حرمه نخلات وهو جامع جميل. وله منارة رشيقة من ثلاث طبقات.

جامع نقيب الجيش

يقع بالقرب من جامع قَرَهْ قُوجَه. إنه جميل أو عتيق.

وعند قنطرة الجماميز:

جامع قَرَه قوجَه

إنه جامع صغير ولكن يؤمه كثير من المصلين.

وفى درب الجماميز تجاه قنطرة العمر:

جامع كتكوت

جامع صغير على الطريق، ومنارته رائعة، وهو كذلك من الجوامع كثيرة الزخارف وفى طريق الباب الجديد أسفل قلعة الكبش:

جامع الأمير لاجين

إنه جامع جميل يصعد إليه بسلم من خمس درجات. ومنارته نحيلة مرتفعة ومزخرفة وكواته تطل على الطريق العام. وله أربعة عشر عموداً من الرخام تحمل سقفًا منقوشًا إنه وزير السلطان الطاهر.

وعلى أسوار قلعة الكبش:

جامع السلطان الجولى

تمكنت من دخوله. له زاوية تشبه الجامع. وله منارة مربعة من ثلاث طبقات.

وفى الحارة التى بعد جامع طيلون:

جامع الأمير يوسف أوزبك

إنه جامع جميل على مفرق الطريق. وله سقف مزين يقوم على أربعة عقود. ومحرابه مرصع. ومنبره خشبى مُقَرنَصٌ. وموضع مؤذنه جميل. وجدرانه الأربعة مكسوة بالأحجار الملونة. وله منارة من ثلاث طبقات. إنه جامع يشرح الصدر. ولكن لا حرم له.

وإذا ما تصديت لذكر ما فى القاهرة من جوامع لاقتضى ذلك كتابة مجلد قائم بذاته أما أسماء الجوامع الأخرى فمنها:

جامع الإمام الحسين، وجامع مسيح باشا فى طريق الإمام الشافعى. وعلى مقربة منه جامع القيسونى، وإلى جواره جامع أم السلطان حسن. وبالقرب من القبر الطويل جامع السيد بدر الدين. وبالقرب منه جامع الخاتونية. ويتصل به جامع الأشرفية. وبالقرب منه فى حارة الخلالين جامع شجرة الدر. وهى شجرة الدر التى كست الكعبة بالحرير الأسود، وجامع الزينية بالقرب من قنطرة الموسكى. وهو جامع صغير ذو منارة. وفى آخر باب الوزير على الطريق العام جامع ايتموس وزير الظاهر بيبرس. وهو جامع متين

ركين له قبة ومنارة. وجامع الشيخ شمس الدين الحنفى وهو جامع معمور وخانقاه قديمة للعبادة. ويؤمه كثير من المصلين. وفى حرمه شجرة نبق مثمرة. وله منارة.

وعلاوة على هـذه الجوامع آلاف الأوقاف فى مصر المحـروسة، وجميعها مـقيدة فى دفتر قاضى عسكر أفـندى؛ لأنه ينال من كل منها على الأقل دينـاراً ذهبيّا أو خمسة أو عشرة أو خـمسين أو مائة. إنـها أوقاف جِدٌّ عظيـمة. والقاضى عـسكر هو ناظـر نظار الأوقاف وهو القائم على التفتيش عليهم وجميع الأوقاف مقيدة فى دفتره.

* * *